Established July 2008

Australian Journal of Social and Cultural Studies
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133

The Islamic Centre for Research and Development Inc. Sydney, Australia

السنة النبوية بين أهل القرآن وأهل الحديث

الدكتور حرسي محمد هيلوله
المركز الإسلامي للأبحاث والتنمية الاجتماعية
سيدني - أستراليا

مقـدمـة

السنة النبوية بين أهل القرآن وأهل الحديث هو بحث لمنهجيات فقهية مختلفة تستعرض نقاط الخلاف حول مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي بالتركيز على نصوص قرآنية وروايات حديثية وتعقيداتها التاريخية، موضحاً الأبعاد الفقهية والأصولية لاستمرار النقاش حول هذا الموضوع ومشجعا على الحوار المستمر والتجديد في الفهم الديني.

The Prophetic Sunnah between the People of the Qur'an and the People of Hadith is a study of different jurisprudence methodologies that review the points of disagreement regarding the status of the Prophetic Sunnah in Islamic legislation by focusing on Qur'anic texts and Hadith narrations and their historical complexities, clarifying the jurisprudence and fundamentalist dimensions of the continuing discussion on this topic and encouraging continuous dialogue and renewal in religious understanding.

مجال الحوار

يدور الخلاف بين أهل القرآن وأهل الحديث حول مكانة السنة النبوية. أهل الحديث وهم الذين يعتبرون السنة النبوية "أقوال وأفعال وتقريرات النبي ﷺ " مصدرًا رئيسًا للتشريع إلى جانب القرآن الكريم، ويستدلون على ذلك نصوصا من القرآن نفسه، مثل قوله تعالى: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** الحشر.7:

ويقولون إن القرآن نفسه يأمر المسلمين بطاعة النبي ﷺ في العديد من الآيات، مثل آية سورة الحشر المذكورة أعلاه ومثل قوله تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا)** الأحزاب: 21. فهؤلاء يؤمنون بأن السنة مبيّنة وموضحة للقرآن، بل أحيانًا تأتي بأحكام جديدة غير مذكورة في القرآن.

والقرآنيون أو"أهل القرآن " كما يسمون أنفسهم، يرفضون الاحتجاج بالسنة كمصدر مستقل للتشريع، ويؤكدون أن القرآن وحده كافٍ للهداية والتشريع، مستشهدين بآيات مثل قوله تعالى: **(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)** الأنعام: 38. ويرون أن بعض الأحاديث أو معظمها قد تكون غير صحيحة بسبب احتمال تحريفها أو وضعها عبر الزمان والمكان، وأن السنة يجب أن تُفهم في إطار القرآن فقط. ويدور النقاش حول مواضيع أهمها:

1- حجية السنة في التشريع: هل السنة النبوية وحي من الله أم اجتهاد بشري؟

2- دور السنة في تفسير القرآن: هل يمكن فهم القرآن دون الرجوع إلى السنة؟

Established July 2008
Australian Journal of Social and Cultural Studies
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133
The Islamic Centre for Research and Development Inc. Sydney, Australia

3- مصداقية كتب الحديث: هل يمكن الاعتماد على كتب الحديث مثل البخاري ومسلم؟
4- التأريخ والتدوين: متى دوّنت السنة؟ وهل تأخر تدوينها يؤثر على موثوقيتها؟
5- مسألة العقل والنقل: هل يقدم العقل على السنة أم السنة مقدمة على العقل؟
6- مسألة عدالة الصحابة: هل الصحابة كلهم عدول أم لا؟
7- مسألة الجرح والتعديل: هل الجرح والتعديل من الغيبة المحرمة في الإسلام أم لا؟
8- مشروعية تدوين السنة: هل أمر النبي ﷺ بتدوين السنة أم نهى عن تدوينها؟
9- مصداقية منهج الاسناد: هل منهج الاسناد الذي اعتمد عليه المحدثون منع الوضع أم أدى إلى عكس ذلك؟
10- التعارض بين النصوص القرآنية والحديثية: هل بعض الأحاديث تعارض مضمون بعض الآيات القرآنية أم لا.

يدور هذا النقاش حول هذه المسائل وأشباهها. ويرجع بعض الدارسين من أهل الحديث بداية هذا الخلاف إلى عهد الصحابة ويعتقدون أن أول من بدأ هذا التشكيك في السنة هم الخوارج (ابن تيمية: مجموع فتاوى ابن تيمية ج 13 ص208-213).

ويروون أحاديث منها ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ (بَعَثَ عَلِيٌّ رَضيَ اللهُ عنه إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بذُهَيْبَةٍ، فَقَسَمَهَا بيْنَ الأرْبَعَةِ: الأقْرَعِ بن حَابِسٍ الحَنْظَلِيِّ ثُمَّ المُجَاشِعِيِّ، وعُيَيْنَةَ بن بَدْرٍ الفَزَارِيِّ، وزَيْدٍ الطَّائِيِّ ثُمَّ أحَدِ بَنِي نَبْهَانَ، وعَلْقَمَةَ بن عُلاثَةَ العَامِرِيِّ ثُمَّ أحَدِ بَنِي كِلَابٍ، فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ والأنْصَارُ، قالوا: يُعْطِي صَنَادِيدَ أهْلِ نَجْدٍ ويَدَعُنَا! قالَ: إنَّما أتَأَلَّفُهُمْ. فأقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاتِئُ الجَبِينِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقٌ، فَقالَ: اتَّقِ اللهَ يا مُحَمَّدُ، فَقالَ: مَن يُطِعِ اللهَ إذَا عَصَيْتُ؟! أيَأْمَنُنِي اللهُ علَى أهْلِ الأرْضِ فلا تَأْمَنُونِي! فَسَألَهُ رَجُلٌ قَتْلَهُ -أحْسِبُهُ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ- فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا ولَّى قالَ: إنَّ مِن ضِئْضِئِ هذا -أوْ: في عَقِبِ هذا- قَوْمًا يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أهْلَ الإسْلَامِ ويَدَعُونَ أهْلَ الأوْثَانِ، لَئِنْ أنَا أدْرَكْتُهُمْ لأقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ) رواه البخاري ومسلم.

ثم استمر انكار أهمية السنة في التشريع من عصر الصحابة إلى عصر التابعين ليس فقط بين الخوارج بل تابعهم في ذلك المعتزلة التي أسسها واصل بن عطاء "80هـ -131هـ" وصديقه عمرو بن عبيد "79هـ - 143هـ". وينسب المحدثون إلى هذين الشيخين شناعات لا داعي لإيرادها هنا مع إقرارهم أنهما كانا أهل زهد وورع وعبادة. " أنظر ترجمتهما في سير أعلام النبلاء".

ثم استمر الخلاف حول مكانة السنة إلى عصرنا هذا فظهر ممن عرفوا بالقرآنيين أو "أهل القرآن" ولعل من أبرز المنظرين لهم الدكتور أحمد صبحي منصور وقد وضع كتابا في هذا الصدد بعنوان "القرآن وكفى - مصدرا للتشريع الإسلامي" ولما كانت حرية الرأي معدومة في العالم الإسلامي والعربي اضطر الدكتور إلى الانتقال إلى أمريكا بعد أن تعرض لمضايقات ومطاردات ومصادرات لمؤلفاته من قبل رجال الدين والسلطة في مصر خاصة وفي العالم العربي عامة. وله صفحة خاصة به على الإنترنت يمكن الوصول إليها عن طريق هذا الرابط https://www.ahl-alquran.com/arabic ينشر فيها آراءه ويدافع فيها عن وجهة نظر أهل القرآن وموقفهم من المرويات.

ومن المنظرين البارزين لمدرسة أهل القرآن الدكتور زهير جمعة المالكي وله بحوث كثيرة ومقالات وهو ناشط حقوقي عراقي له باع طويل في نقد التراث ولاسيما كتب الحديث والمحدثين ويمكن الوصول إلى بعض أبحاثه المنشورة على

Established July 2008
Australian Journal of Social and Cultural Studies
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133
The Islamic Centre for Research and Development Inc. Sydney, Australia

الإنترنت عن طريق البحث عن اسمه أو عن طريق الرابط التالي: https://www.ahewar.org/m.asp?i=6180 . وهناك عدد من الباحثين المعتبرين الذين يمكن عدّهم من بين أنصار هذه المدرسة وإن لم يصرحوا إنتماءهم إليها، ومنهم الدكتورعدنان إبراهيم والشيخ حسن فرحان المالكي، ولهذين الباحثين حضور قوي في مجال نقد التراث. ولديهم ميل واضح في المنهج والبحث العلمي إلى مدرسة أهل القرآن.

وبالاضافة إلى هولاء هناك عدد لا بأس به من أنصار مذهب أهل القرآن في هذا العصر ولهم حضور قوي في منصات التواصل الاجتماعي إلا أن معظمهم هواة يقل فيهم المتخصصون في الدراسات الإسلامية. وفيما يلى نورد بعض اعتراضاتهم على منهج المحدثين والمرويات ثم نورد أجوبة أنصار منهج المحدثين علي اعتراضاتهم ثم نختم بحثنا بتعقيب على المدرستين.

بعض المواضيع التي دار حولها الجدل بين أهل القرآن وأهل الحديث

1- أمر النبي بأن لا يكتب عنه شي، فكتابة ما يسمى بالسنة مخالف لأوامر النبي محمد ﷺ نفسه. ومما ورد في هذا الصدد ما روي عن أبي سعيد الخدري:"لا تَكْتبوا عنِّي شيئًا سِوَى القُرآن، من كتبَ عنِّي شيئًا سِوى القُرآن فليَمحُهُ" رواه أحمد ومسلم وغيرهما. وقال أيضا: "لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآنَ، فمن كتب عني غيرَ القرآن فليمحْه" أخرجه مسلم. وقد ورد ما يدل أن النبي ﷺ أذن بكتابة بعض الأحاديث مثل "أكتبوا لأبي شاه" إلا أن المحققين من رجال الحديث رجحوا الأحاديث التي نهت عن كتابة الأحاديث ولاسيما أنه لا يعقل أن ينهى النبي عن شيء ثم يأمر بما يناقضه. "أحمد صبحي ، القرآن وكفي - ص 67".

ويرد أنصار مدرسة أهل الحديث على هذه الدعوى بقولهم: إن الصحابة كانوا يحفظون حديث النبي فمنهم من كان يكتب ومنهم من كان يحفظ بقلبه وهذه الأحاديث التي نهى النبي ﷺ فيها عن كتابة الحديث كانت في أول الأمر لئلا يختلط الحديث بالقرآن فيشتبه على القارئ لكن بعد أن رسخ حفظ القرآن أذن النبي كتابة الحديث. ويروون قصة عبد الله بن عمرو التي رواها أبو داود: عن عبدِ اللهِ بن عَمرِو بن العاصِ رَضيَ اللهُ عنهما، قال: كُنتُ أكتُبُ كلَّ شَيءٍ أسْمَعُه مِن رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُريدُ حِفظَه، فنَهَتْني قُرَيشٌ، وقالوا: أتَكتُبُ كلَّ شَيءٍ تَسمَعُه ورَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بشَرٌ يَتكلَّمُ في الغضَبِ والرِّضا؟! فأمسَكْتُ عن الكتابِ، فذكَرتُ ذلك لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأومَأ بإصبعِه إلى فِيه، فقال: اكتُبْ؛ فوالَّذي نَفْسي بيَدِه، ما يَخرُجُ منه إلاَّ حقٌّ. (الدرر السنية: الموسوعة الحديثية - على الإنترنت صفحة: https://dorar.net/hadith/sharh/152178).

ويرد "أهل القرآن" بأن ادعاء المحدثين أن النبي ﷺ خشي من التباس القرآن بالحديث فنهى كتابة الحديث لايستقيم لأن القرآن لا يشبه الحديث فهو معجز وليس ككلام البشر وقد تحدى الله العرب بأن يأتوا بمثله. ثم إن الله وعد بحفظه فكيف يخشى أن يختلط بكلام النبي أو كلام غيره؟ "أحمد صبحي ، القرآن وكفي - ص 67".

2- يقول القرآنيون: الثابت أن النبي ﷺ لم يترك شيأ مكتوبا سوى القرآن. وأورد الدكتور أحمد صبحي في كتابه بعض الروايات التي تؤكد ذلك ومنها ما رواه البخاري قال: "دَخَلْتُ أنا وشَدّادُ بنُ مَعْقِلٍ، علَى ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ

Established July 2008
Australian Journal of Social and Cultural Studies
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133
The Islamic Centre for Research and Development Inc. Sydney, Australia

اللهُ عنْهما، فقالَ له شَدّادُ بنُ مَعْقِلٍ: أتَرَكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن شيءٍ؟ قالَ: ما تَرَكَ إلاَّ ما بيْنَ الدَّفَّتَيْنِ قالَ: ودَخَلْنا علَى مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، فَسَألْناهُ، فقالَ: ما تَرَكَ إلاَّ ما بيْنَ الدَّفَّتَيْنِ. رواه البخاري الحديث رقم 5019.

ويروى عن الخليفة عمر أنه قال: إني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله عز وجل، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً. رواه البيهقي. وكذلك يروى أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه.

وقالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيرا. قالت: فغمني فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية! هلمي بالأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها. فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك. (تذكرة الحفاظ للذهبي ج1ص1-5).

ويرد المحدثون على هذه الروايات إن صحت أنها تدل على التثبت في الأخبار المروية عن النبي ﷺ وليس المقصود منها سد باب التدوين كما صرح الذهبي في تذكرة الحفاظ قائلا - وهو يشير إلى الخبر السابق الذي روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "فهذا المرسل يدل أن مراد الصديق التثبت والتحري لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج" (تذكرة الحفاظ للذهبي ج1ص3).

3- يقول القرآنيون: إن الكثير من المرويات وضع لأغراض سياسية من قبل الرواة والمحدثين للحصول على منح القادة والزعماء السياسيين. يقول الدكتور زهير جمعة في بحث له في موقع مؤسسة الحوار المتمدين على الإنترنت : " منذ أقدم العصور كان اللعب على وتر العواطف الدينية من أقوى أسلحة السياسة في تثبيت دعائم الحكم وتوظيفها لمصلحة الدولة، وظاهرة (وعاظ السلاطين) ظاهرة ليست حديثة بل هي رافقت الأديان منذ ظهورها ولم تقتصر على الأديان السماوية فقط؛ فهم فئة من الرجال المتسترين بلباس الدين.. جعلوا مِن أنفسهم مطيَّة للحاكم الظَّالم، يُعطونه الشرعية لحُكمه الظالم هذا، ويمنحونه الفتوى التي يريد، في الوقت الذي يريد.

ويخترعون له الأحاديث التي تسند فتاواهم، وفي التاريخ الإسلامي الكثير من هذه النماذج حتى أصبحت تلك التجارة أقصر الطرق للحصول على الأموال والتمتع بالحظوة لدى الحكام؛ من أجل استخدامهم في الطعن في خصومهم..." (الحوار المتمدين: https://www.ahewar.org/m.asp?i=6180 تاريخ: 2024/04/07م) ثم ينقل الدكتور عن الإمام النووي أصناف وضّاع الحديث ويذكر من بينهم فئة يسميها الإمام النووي "فسقة المحدثين" وآخرين مثل المبتدعة ومتعصبي المذاهب. ويعتقد الدكتور زهير جمعة أن أول حادثة ظهرت فيها

Established July 2008
Australian Journal of Social and Cultural Studies
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133
The Islamic Centre for Research and Development Inc. Sydney, Australia

الحاجة إلى وضع أحاديث كانت حادثة وفاة النبي محمد ﷺ والتي احتاج القرشيون من الصحابة إلى وضع أحاديث تثبت لهم الحق الإلهي في الحكم. ويورد الدكتور حديثا رواه أبوهريرة مثالا لذلك وهو: أن رسول الله ﷺ قال "الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم"، وحديث آخر لابن عباس قال "اللهم أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرها نوالاً".

ويقول الدكتور زهير جمعة "عندما ظهرت حركات التمرد في الجزيرة العربية ضد حكم قريش جاء دور مزوري الأحاديث ليخترع لنا أبو هريرة حديث الشجاع الأقرع الذي يعذب مانعي الزكاة، فيروي البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلِهْزِمَتَيْهِ - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك".

وظهر حديث ابن عمر وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ" رواه البخاري. ولغرض تأكيد سلطة حكام قريش ظهرت الأحاديث التي تمنع الخروج على الحاكم الجائر، فكان دور ابن عباس في تزوير حديث أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: "من رَأى من أميرِه شيئًا يَكرَهُهُ فليصبرْ؛ فإنَّه من فارَقَ الجَماعة شِبرًا فماتَ فمِيتةٌ جاهِلِيَّةٌ". ولم يترك أبو هُريرةَ مكانه خالياً، فادعى أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال "من خَرجَ من الطَّاعةِ وفارَقَ الجَماعة فمات، مات مِيتةً جاهِلِيَّةً" (الحوار المتمدين: https://www.ahewar.org/m.asp?i=6180 تاريخ: 2024/04/07م).

والحق أن المحدثين لا ينكرون ما وقع في الحديث النبوي من وضع وتلاعب في روايته كما يذكره الإمام النووي وغيره من المحدثين، وقل ما تجد كتابا من كتبهم يخلوا من معالجة مسألة الوضع وغيرها من الأمور الخادشة التي تعرض لها الحديث النبوي وقد ألفوا مطولات في الجرح والتعديل ومعرفة الرواة وعلل الحديث. فليس هناك، مهما كابر، من يستطيع انكار الجهود الجبارة التي أخذها المحدثون على عاتقهم لمواجهة مشكلة الوضع في الحديث النبوي ولكن المنتقدين لهم يشككون في مصداقية منهجهم هذا وقدرته على وقف حركة الوضع بل يعتقد بعضهم أن منهج الجرح والتعديل كان من بين الأمور التي ساعدت الوضّاعين والكذّابين للاستمرار في غيّهم والتمادي في كذبهم على النبي ﷺ. وسنرى فيما بعد أمثلة لهذا الموقف.

4- يرى أنصار مدرسة أهل القرآن أن ما ألبسه أهل الحديث والفقهاء شيوخهم من تبجيل وتزكية وتهويل لشأنهم وعلو منزلتهم[1] ورفعهم فوق مستوى البشر حتى أعطوهم ألقابا كشيخ الإسلام وأئمة الدين والسلف الصالح وورثة الأنبياء وغيرها من الالقاب المبجلة، إنما هي محاولة لاخفاء حقيقة هؤلاء ويعتقدون أن عددا كبيرا من المحدثين والفقهاء بما فيهم بعض الصحابة والتابعين كانت لهم ميول سياسية وتوجهات مذهبية وقومية أو قبلية

[1] يروي انه قيل لإسْحَاق بن إبْرَاهِيم بن مخلد أبي يَعْقُوب المَعْرُوف بابْن رَاهَوَيْه: أنْت أكبر أو أحْمد بن حَنْبَل. قالَ هُوَ أكبر منى فى السن وَغَيره. روى عَن إمامنا أشْيَاء مِنْهَا قالَ رَأيْت أحْمد بن حَنْبَل يصلى. فَقَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، يُشِير بإصبعه. فَلمَّا سلّم، قلت: يَا أبَا عبد الله، مَا قلت فى صَلَاتك؟ قالَ: كنت على طَهَارَة، فجَاء ابْليس فَقَالَ: إنَّك على غير طَهَارَة. قلت شَاهِدين عَدْلَيْن. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد - إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبي إسحاق، برهان الدين (ت ٨٨٤ هـ).

Established July 2008
Australian Journal of Social and Cultural Studies
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133
The Islamic Centre for Research and Development Inc. Sydney, Australia

مما جعلهم يضعون بعض الأحاديث لدعم مواقفهم أو مواقف من ينتمون إليه. ومثال ذلك ما رواه بعض الصحابة من أحاديث تنص أحقية القرشيين للإمامة. ومنها موقف الإمام أبي حنيفة من مسألة التعصيب في الميراث مسايرة مع الحكم العباسي. ومنها موقف مالك من مسألة الوصية للوارث وانكاره لذلك مع أنها مذكورة في القرآن صراحة. ومنها موقف الزهري من أحاديث طاعة ولي الأمر. ومنها موقف الشافعي من أحاديث الآحاد وزعمه أن السنة النبوية وحي وأنها هي المقصودة من لفظ الحكمة في قوله تعالى (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) النساء:113. ومنها موقف الإمام أحمد من الأحاديث التي جاءت في باب العقل والتي حكم عليها كلها بالوضع وذلك تبعا لموقفه العقدي والسياسي.

أما رواة الحديث وشيوخهم وكذلك الفقهاء فإنهم يعتبرون مواقف أئمتهم من الاتجاهات المذهبية والتيارات السياسية أنها حق لاغبار عليها وأنها مدعومة بأدلة شرعية صحيحة ويتضح هذا من ترجماتهم ومناقبهم التي ألفها تلاميذهم، ومجرد القاء نظرة سريعة على سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي مثلا ، يتضح لك ما قلناه.

5- يقول أهل القرآن: إن ما يسمى بالسنة مخالف للقرآن في حالات كثيرة بل بعضها يسيء إلى سيرة النبي وذلك أنهم يروون أحاديث يفهم منها أن النبي لم يكن له همّ آخر غير الطواف على نسائه التسع كحديث أنس الذي رواه البخاري (أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة)! وأنه أعطي قوة ثلاثين رجلا. وهناك حديث آخر يقول: "كان رسول الله إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض". يرى الدكتور أحمد صبحي منصور أن هذه المرويات مخالفة لما ورد في القرآن من وصف النبي.

فالذي يفهم من سياق الآيات القرآنية أن النبي كان مشغولا بأمور الدعوة وتبليغ الرسالة وتنظيم الدولة وخدمة المسلمين وما بقي من وقته كان يتعبد وبالليل يتهجد. وإذا قيل له لماذا تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، كان يقول أفلا أكون عبدا شكورا. روي البخاري (قَامَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فقِيلَ له: غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، قالَ: أفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا). الحديث رقم 4836.

ويقول الدكتور أحمد: "والذي نؤمن به جميعا أن النبي كان صفوة خلق الله ومن أرقهم ذوقا وأسماهم خلقا. ومن كان على هذا المستوى لا ننتظر منه هذا خصوصا وأن الله تعالى قال له: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. سورة البقرة (222). لم يقل رب العزة "فاعتزلوهن" فقط وإنما قال أيضا (**ولا تقربوهن**) أي زيادة في التأكيد والتحذير. ونحن نؤمن بأن النبي طبق هذه السنة، فالسنة الحقيقية للنبي هي في تطبيق القرآن، والله تعالى (يحب التوابين ويحب المتطهرين) ونبي الله من أئمة المتطهرين في كل عصر. هذا ما

Established July 2008
Australian Journal of Social and Cultural Studies *The Islamic Centre for Research and*
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133 *Development Inc. Sydney, Australia*

نؤمن به جميعا عزيزي القارئ، ولكنك حين تقرأ باب الحيض في البخاري تفاجأ بروايات غريبة تحت عنوان غريب هو "باب مباشرة الحائض". القرآن وكفي: ص77.

وللاجابة على هذا التساؤل نورد ما ذكره شارح حديث عائشة (كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا...إلخ) وآية سورة البقرة في صفحة "الدرر السنية" على الإنترنت، التي يشرف عليها علوي بن عبد القادر السّقاف، يقول: (والمقصود الاعتِزال في الآيةِ هو عدَمُ الجِماع، أمَّا ما سِوى ذلك فلِلزَّوج أنْ يَفعلَه؛ بمعنَى: أنَّه يَفعلُ كلَّ شيءٍ إلاَّ الجِماعَ، وهذا ما أخبرَتْ به أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها في هذا الحديثِ، حيثُ قالتْ: كانتْ إحدانا مِن زَوجاتِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا كانتْ حائضًا، فأرادَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُباشرَها بتقبيلٍ ونَحوِه دُونَ جِماعٍ، أمَرَها أنْ تتَّزرَ في فَورِ حَيضتِها، فتَشُدَّ إزارًا تَستُرُ مِن سرَّتِها وما تَحتَها إلى الرُّكبةِ، وذلك في فَورِ حَيضتِها، وفي ابتدائِها أو في اشتِدادِها وكثرتِها، ثُمَّ يُباشرَها فيَقتربَ منها ويَلمِسَها، ولكنَّه لا يُجامعُ).

بالإضافة إلى ما سبق هناك عدد كبير من الانتقادات وجهها أهل القرآن إلى المحدثين والفقهاء ربما نتناول بعضها في مقال آخر، ومن هذه الانتقادات أنهم:

6- يدّعون أن الحديث مصدر مستقل من القرآن . وأنه ينسخ القرآن فيجعلونه فوق منزلة القرآن.

7- يدّعون أن الحديث من الوحي وأنه يندرج تحت قوله تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). ويستدلون: قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

8- إن ما يروونه عن النبي لايمكن التحقق منه وذلك بسبب فساد منهج الجرح والتعديل المبني على التزكية الشخصية.

9- إن ادعاءهم أن السنة تُفصّل وتبين القرآن يتناقض مع ما جاء في القرآن أنه مفصل وبين بنفسه .

10- إنهم قسموا الرواة إلى ثقة وضعيف ومتروك إلخ وكل ذلك أحكام على أناس لا يعلم ما في أنفسهم إلا الله فأحكامهم هذه مجرد ظن. وقد قال الله: (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة .... لا تعلمهم نحن نعلمهم). فالنبي نفسه لم يعرف المنافقين فكيف عرفوا ؟

11- يعتمد الجرح والتعديل على تصنيف الأشخاص من خلال شهادات أشخاص آخرين فهو يعتمد على شهادات تمت تزكيتهم بأشخاص آخرين يزعمون أنهم اطلعوا على نوايا غيرهم. فأحكامهم مجرد أحكام ظنية والله يقون (إن الظن لا يغني من الحق شيأ) و (إن بعض الظن إثم).

12- الجرح والتعديل قائم على أقوال أشخاص كقولهم: فلان قال إن فلانا كذاب أو صادق أو ضعيف وهذه هي الغيبة التي نهانا عنها القرآن حيث قال: (ولا يغتب بعضكم بعضا). وأقوالهم مستقاة من أشخاص يوافقونهم في

الرأي فقط. فهؤلا يستقون أخبار الرواة من أناس معينين فالحنبلي مثلا يستقي معلوماته من الحنابلة ومن كان على رأيهم من الفقهاء والمحدثين وكذلك الحنفي والشافعية والمالكي والشيعي.

13- التصيحيح والتضعيف أمر نسبي بين المحديث فما هو صحيح عند أحدهم قد يكون ضعيفا عند آخر.
14- النبي مطبق للشريعة وليس مشرعا، فالمشرع هو الله وحده.
15- الرسول كان يحكم بالقرآن وحده. وسنة النبي هي القرآن.
16- إن هذه الروايات (الحديث) الكثير منها يسيء إلى النبي مثل بعض ما ورد في صحيح البخاري وغيره.
17- إن روة الحديث يعتبرون كل الصحابة عدولا فوق الشبهات والله سبحانة يذكر في الكتاب أن فيهم منافقين!

بعض الخلافات الأصولية بين اتباع المدرستين

قبل أن نتطرق إلى التعليق على مواقف المدرستين ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار الفروق المنهجية أو الأصولية بين المدرستين وسوف نحاول ذكر بعض أهم هذه الفروق ومنها:

1- يعتبر المحدثون جميع الصحابة عدولا ولا يجيزن النقد عليهم وإن كانوا لا يقولون بعصمتهم. أما أنصار مدرسة أهل القرآن فإنهم لا يرون أحدا من البشر فوق النقد العلمي ما عدا النبي فيما أوحي إليه من الرسالة السماوية.

2- يعتبر العقل مصدرا أساسيا من كمصادر المعرفة عند اتباع مدرسة أهل القرآن كما كان الحال عند الخوارج والمتكلمين ولاسيما المعتزلة وفلاسفة المسلمين. أما أنصار منهج المحدثين فإنهم لايعتبرون العقل مصدرا من مصادر المعرفة وإن كانوا متفاوتين في مواقفهم من العقل إلا أن كبارهم كالإمام أحمد بن حنبل يرى أن ضعيف الحديث خير من العقل أو الرأي كما يروي ابن تيمية عنه (ابن تيمية، نقض المنطق، ص 23).

3- يعتبر القرآنيون منهج التزكية الذي بنوا عليه المحدثون علم الجرح والتعديل، مجرد منهج مبني على آراء شخصية قد تعتريها ميول الفرد المذهبية والسياسية والاقتصادية وغيرها من الأطماع والأهواء التي يتعرض لها جميع البشر.

4- لا يأخذ المحدثون بعين الاعتبار جرح أو تعديل كبار علماء الحديث أوالفقهاء بعضهم لبعض كعلماء التابعين وأئمة المذاهب الفقهية كأحمد والشافعي وأبي حنيفة ومالك ومن شاكلهم ويسمون هذا جرح الأقران. في حين أنصار مدرسة أهل القرآن يعتبرون هذا النوع من النقد نقدا علميا ويستدلونه ومثال ذلك ما ذكره الدكتور زهير جمعة في بعض أبحاثه أن يحيى بن معين كان يتكلم في محمد بن إدريس الشافعي ويقول عنه إنه ليس بثقة.

5- القرآنيون يفرقون بين الرسول والنبي. فالرسول هو المكلف بايصال الرسالة والنبي هو الجانب الإنساني البحت للرسول. يقول الدكتور أحمد صبحي "النبي هو شخص محمد بن عبد الله في حياته وشؤونه الخاصة وعلاقاته

Established July 2008
Australian Journal of Social and Cultural Studies
Vol. 14, October 2024, pp. 125-133
The Islamic Centre for Research and Development Inc. Sydney, Australia

الانسانية بمن حوله، وتصرفاته البشرية"... أما حين ينطق النبي بالقرآن فهو الرسول الذي تكون طاعته طاعة لله (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء: 80. (القرآن وكفى: ص27-28).

وأما أهل الحديث والفقهاء فهم لا يفرقون بين النبي والرسول بهذه الطريقة التي يفرق بها القرآنيون، بل يقولون إن النبي هو المأمور بتطبيق شريعة موجودة قبله، والرسول هو الذي يأتي بشريعة جديدة. وقد سُأل ابن باز فأجاب قائلا: "المشهور عند العلماء أن النبي: هو الذي يوحى إليه بشرع، ولكن لا يؤمر بتبليغ الناس، يوحى إليه يفعل كذا، ويفعل كذا، يصلي كذا، يصوم كذا، لكن لا يؤمر بالتبليغ، فهذا يقال له: نبي. أما إذا أُمر بالتبليغ، فيبلغ الناس، ينذر الناس؛ صار نبيًا رسولاً، كنبينا محمد ﷺ ومثل موسى وعيسى ونوح وهود وصالح وغيرهم. فتاوى ابن باز: https://binbaz.org.sa/fatwas

وبعد هذه المقارنة السريعة بين منهجي أهل القرآن والأهل الحديث نستطيع أن نقول لا أحد ينكر ما بذله المحدثون والفقهاء من أعمال ثراثية عظيمة سواء اتفقنا معهم الرأي أو المنهج أم اختلفنا معهم، فإننا بصفتنا مسلمين فخورون بعملهم هذا إلا أن ذلك لا يعني أنه يجب علينا أن نأخذ ما توصلوا إليه من نتائج سواء في تخريج الأحاديث وتصحيحها أو دراسة القضايا الفقهية.

إن هناك أمورا لا يمكن أن نغض الطرف عنها وهي أن الحياة مستمرة وبما أنها كذلك فلابد من مواكبتها في كل المجالات في الفكر والفقه والتكنولوجيا وغيرها. فلا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي ونقول يكفينا ما توصل إليه علماؤنا.

اضافه إلى ذلك هناك قضايا أخرى لابد من اعادة النظر عليها كقضية عدالة الصحابة. فالله سبحانه يعلمنا مراتب الصحابة في قوله تعالى (**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** وَرَضُوا عَنْهُ) التوبة، آية رقم: 100.

ويقول المفسرون إن السابقين المهاجرين هم " الذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله ثم هاجروا قومهم وعشيرتهم، وفارقوا منازلهم وأوطانهم. والأنصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله. والذين اتبعوهم بإحسان هم الذين سَلَكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله" (نقلا عن تفسير الطبري للآية بتصرف). وهناك أيضا المنافقون الذين ذكرهم الله وكانوا جزءا من المجتمع الإسلامي حينئذ. فالصحابة ليسوا كلهم في مرتبة واحدة. فالمنهج الحالي الذي اعتمد عليه القدماء لا يكفي وذلك أنهم أهملوا بقصد أو بغير قصد جوانب مهمة جدا من حياة الصحابة والتابعين والرواة والمحدثين والفقهاء وغيرهم ممن اشتغلوا في التراث النبوي، كانتمائهم أو ولائهم السياسي أو العقدي أو المذهبي أو ما شابه ذلك.

المصادر

1- القرآن الكريم
2- البخاري، الإمام أبي عبد الله. متن البخاري بحاشية السندي، طبعة دار الفكر. بيروت 1995م
3- الدكتور أحمد صبحي، القرآن وكفى مصدرا للتشريع الإسلامي، نسخة مجانية منزلة من صفحة أهل القرآن، 2025م.

4- المالكي، الدكتور زهير جمعة، أبحاث ومقالات متنوعة يمكن الوصول إليها عن مريق الابحث باسم الدكتور في الإنترنت.

5- الذهبي، سير أعلام النبلاء.

6- ابن تيمية، نقض العقل. ومجموعة الفتاوى.